جمهورية مصر العربية	٢٢ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ□
وزارة الأوقاف	٢٣ من سبتمبر ٢٠١٦م

(١)

النظام سلوك إنساني وحضاري

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابهِ الكريمِ:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبينَا محمدًا عبدُه ورسولُه ، اللهم صلِّ وسلمْ وباركْ على سيِّدِنا محمدٍ، وعلى آله وصحبهِ ومن تبعهمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أما بعد:

فإن الدين الإسلامي دين يُنظّم حياة البشر في مختلف ميادينها، بما يصلح شأن الفرد والمجتمع ،ذلك أن النظام محور أساس لحياة الناس جميعًا ، بل للكون كلّه الذي يسير بنظام دقيق.

والمتأمِّلَ في هذَا الكونِ الواسعِ بكُلِّ ما فيهِ من بدائع خلَقهَا الله (عز وجل) يَرَى بِوُضوحٍ أنَّ الله (عز وجل) خلقه بنظَامٍ وترتِيبٍ وتنسيقٍ وإتقانٍ يُبهِرُ العقولَ ، فكلُّ شيءٍ في هذا الكونِ خَلقَهُ اللهُ (عزَّ وجلَّ) وسَخَّرهُ لحِكْمةٍ وبحِكْمةٍ ، فلم يخْلُق سبحانه شيئًا في الكَونِ عبثًا، قال تعالى:{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}، وقال جلَّ شأنُه: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ).

فكلُّ شيءٍ في هَذا الكَونِ أعَدَّهُ الله (عز وجل) وِفقَ نِظامٍ مُحكَمٍ دَقِيقٍ، لا يتقدم فيه لاحِقٌ على سابِقٍ، ولا يتأخر فيه سابِقٌ على لاحِقٍ ، وإلاَّ لاخْتَلَّ نِظامُ الكَونِ كلِّه ، قال تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، فكُلُّ ذرَّةٍ من ذرَّاتِ هذا الكَونِ لها مكانها وموقعها المحدد ، ولها حركتها الخاصة بهَا.

بل إنَّ الأرزاقَ التي قدَّرهَا الله (عز وجل) لِخلْقِه قسَّمَها بنِظامٍ دقيقٍ يتناسبُ مع متطلباتِ الحياةِ التي تُصلِحُ الفردَ والمُجتَمعَ ، قال تعالى: {وَلَو بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ}، وقال سبحانه: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيرٌ مِمّا يَجْمَعُون }، وتلك سنة الله في خلقه {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا}.

وكما أنَّ النظامَ سُنَّةٌ كونيةٌ فهو أيضًا مبدأٌ أصيلٌ من مبادئِ الإسلامِ العظيمةِ ، جاءَ ليحكُمَ الحياةَ في جميعِ نواحيهَا وجوانبِهَا باتزان واعتدالٍ ، لا يطغى فيه جانب على آخر .

فالصلاةُ نظَّمَ الإسلامُ أوقاتَها وطريقةَ أدائِها، وجعل النظام من أهم مقومات صلاة الجماعة ، حيث يتقدم الإمام ، والصفوف متساوية خلفه ، فقد كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول : (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ)، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُعلِّمُ أصحابَهُ احترامَ النظامِ في صلاة الجماعة قائلاً: (إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا ، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا...)، إنه النظام في أجل صوره ، وأبهى مظاهره.

كذلك الزكاةُ تُؤدَّى وِفقَ نظامٍ دقيقٍ مُفَصَّلٍ ومُوَضَّحٍ كمًّا وكَيفًا وأداءً ،وكذلك الصيام والحج وسائر العبادات والمعاملات .

فالنظام عمل يحث عليه الإسلام ، ويرغب في تطبيقه والمحافظة عليه ،حتى عند الطعام والشراب فقد وضع له نظامه وآدابه وثقافته فعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ:(مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ

لِنَفسِهِ)،ومن ثقافة الطعام وآدابه ما رواه عُمَر بْنَ أَبِي سَلَمَةَ قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :(يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ .

ومن أهم المواضع التي يجب أن يراعى فيها النظام ويسود : احترام الطرقات وإشارات المرور ، وعلامات السير وقواعده وضوابطه، ومنها احترام حق الآخر في أي عمل يتطلب ترتيب الأدوار فيما يتصل بالحصول على الخدمات والحاجات سواء الغذائية كصرف مستحقات بطاقات التموين، ونحوه كالتعامل مع المجمعات الاستهلاكية وغيرها ، أو صرف اسطوانات الغاز، أو تلقي الخدمات الصحية ، أو خدمات السجل المدني أو الشهر العقاري أو البنوك ، أو مكاتب البريد ، أو تقديم أي طلبات تقتضي النظام، فاحترام الإنسان لدوره ، هو احترام للنفس وللغير ،كما أن احترام القانون بصفة عامة يعد أهم أحد أعمدة النظام واستقامة السلوك الإنساني وتحقيق صالح الفرد والجماعة ، ونزع فتيل الكثير من الأحقاد والمشكلات .

فلنبادر إلى التعاون على ترسيخ السلوك الحضاري والإيجابي في شئوننا اليومية ، بحيث يحب كل منا للآخر ما يحبه لنفسه ، ويكره له

ما يكره لنفسه يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

****

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى .

إن احترام النظام احترام لمبادئ الدين الحنيف التي تحقق أمن المجتمع وسلامته من كل مظاهر الفوضى التي تؤثر سلبًا على صورة الفرد والمجتمع في الداخل والخارج ، فالأمم والمجتمعات الراقية والمتقدمة تتمسك بالنظام وتأبى كل ألوان الفوضى وتنفر منها.

فعلى كلٍّ منَّا أن يحافظ على النظام ، وأن يكون أسوةً طيبةً لمن حوله ، وأن يقوم بدوره تجاه وطنه ، فالنظام سُنَّةٌ كونيةٌ ، وقيمةٌ إنسانيةٌ ، وضرورةٌ اجتماعيةٌ ، تعنى بها المجتمعات وتحرص عليها الأمم الراقية حتى يصير طبعًا وسلوكًا يُعمَلُ به في كل شئونها. ولنعلم أن الإسلام في أحكامه وتشريعاته لا يعرف الفوضى ولا طريقها ، بل إنه يتبرأ منها ومن الداعين إليها ، لأنها سلسلة من السلبيات التي

تحول المجتمع إلى مجتمع مستهلك لا منتج ، مجتمع خائف لا يشعر بالأمن والأمان ، فحيثُمَا عمَّت الفوضى في مجتمعٍ عمَّ الفساد ، وضُيِّعَت الأوقات ، وأهدرت الطاقات ، وتبدّدت الجُهود ، ولا يجنى المجتمعُ منها إلا التخلف والفشل بداية من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع .

ومما لاشك فيه أن مسئولية تحقيق النظام والحفاظ عليه تقع علينا جميعًا ، بداية من الأسرة باعتبارها النواة الأولى في بنيان المجتمع، لذا وجب على كل منا أن يقوم بدوره ، وعلى كل أسرة أن تقوم بدورها في تنشئة أولادها على النظام والسلوك القويم في كل أمورهم وأحوالهم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتهِ : الإمَامُ رَاعٍ وَمسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهْلِهِ وَمسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ...).

نَسْأَلُ اللهَ العليَّ العظيمَ أن يُصلحَ أحوالَنا ، وأن يُهيئَ لنا من أمرِنا رَشَدًا، وأن يحفظ مِصرَ وأهلها من كل مكروه وسوء .